الفصل السادس

اعتذرت أصيلة هانم للملك
فقرر أن يعلن خطوبته رسميا
لناريمان !

استغرقت رحلة ناريمان ما يقرب من السبعة شهور..

وفجأة تلقينا برقية من القاهرة تطلب إلينا نعود فورا.. وتبلغنا أن الملك سيكون فى انتظارنا بالقاهرة..

وتقرر أن نستقل الباخرة (إكسكاليبار) من ميناء نابولى إلى الإسكندرية..

وعاد معنا السفير وزوجته مدام (أنى) ..

كان يريد أن يقدم إلى الملك تقريره النهائي عن الرحلة..

وعلى ظهر الباخرة التقينا بالأمير السابق محمد على إبراهيم، وزوجته الأميرة الجميلة هانزادة ابنة الأمير العثمانى عمر الفاروق وشقيقة الأميرة نسل شاه..

وتعمدنا أن لا يعرف الأمير السابق أو زوجته عن ناريمان شيئا

وفى ميناء الإسكندرية فوجئنا بأن الميناء مغلق بسبب اشتداد العواصف..

وصدرت التعليمات من القصر الملكى بالسماح للباخرة بدخول الميناء..

وأراد الملك أن يعد مفاجأة لناريمان..

وكان أن أمر بإعداد استقبال رسمى للباخرة التى حملتها إلى الإسكندرية وخرج كبار المسئولين فى القصر الملكى، كما خرجت الوصيفات فى مجموعة من اللنشات البحرية لاستقبال ناريمان فى البحر قبل وصول الباخرة إلى رصيف الميناء..

وأطل الأمير محمد على إبراهيم من فوق سياج الباخرة ليرى هذه اللنشات وهى تتقدم ناحية السلم..

وكان أن تصور أن هذا الاستقبال قد أعد خصيصا له..

ولم يتمالك الأمير نفسه من الدهشة، فاعتدل فى مكانه، ثم انتفخت أوداجه وهو يطلب إلى زوجته أن تستعد لهذا الاستقبال الرسمي الذى أعدلهما..

* * *

صعد رجال الحاشية الملكية، والوصيفات على سلم الباخرة، وكانت تتقدم الجميع السيدة "أداكحيل" وهى تحمل بين يديها باقة كبيرة من الزهور الملونة..

والتفت ناحية صالون الباخرة لأشاهد الأمير محمد على إبراهيم وزوجته، وقد جلسا بوقار فى انتظار بعثة الشرف التى صعدت إلى الباخرة وكان تصورهما وتصورنا أيضا أنها قد جاءت خصيصا لاستقبالهما..

وكنت أقف أنا وناريمان فى تلك اللحظة فى جانب آخر من الصالون نراقب ما يحدث فى صمت وسكون...

كنا نريد أن نتحين الفرصة لكى نتسلل من الباخرة هابطين فى هدوء دون أن يشعربنا أحد، ولم يكن قد تبادر إلى خاطرنا

حتى تلك اللحظة أن هذا الاستقبال الرسمى قد أعد خصيصا لناريمان..

المهم.. دخلت السيدة "أداكحيل" إلى الصالون فبادرت الأميرة السابقة هانزادة بالوقوف لاستقبالها، واستقبال رجال القصر الملكى..

وكانت المفاجأة المثيرة عندما حيت السيدة "أداكحيل" هانزادة بإيماءة خفيفة من رأسها، ثم اتجهت ناحية ناريمان لتقدم إليها باقة الزهور..

وأدركت ساعتها لأول مرة أن تطورات كثيرة قد وقعت فى القاهرة، وأن الملك على وشك أن يعلن خطبته رسميا لناريمان..

وانتهزت أول فرصة لأهمس فى أذنها قائلا:

مبروك الحكاية الظاهر نفعت..

قالت لى.. وهى تكاد تطير من الفرح:

- باين كده.. من الاستقبال الرسمى ده.. يا أونكل. !

ولم نبق طويلا فى الباخرة، فقد دعينا لكى نستقل أحد اللنشات..

وقال لنا أحد رجال الحاشية الملكية.. إن علينا أن نرتاح قليلا فى قصر رأس التين، على أن نستقل بعد ذلك السيارات رأسا إلى القاهرة حيث سيكون الملك فى انتظارنا..

ولكن الملك كان يعد لناريمان مفاجأة أخرى.. فقد فوجئنا به يظهر أمامنا بمجرد نزولنا من اللنشات على الرصيف، وصعودنا إلى قصر رأس التين..

وأخذ الملك يقهقه بطريقته المعروفة وهو يقول لناريمان:

- حمد لله على السلامة.. والله أحلويتى عن أيام زمان..

ثم أمسك بيد ناريمان وهو يقول لها:

- عاوز أشوف الفرنساوي بتاعك دلوقتى.. لازم بقيتى لبلبة فيه..

وتلفت الملك.. ناحية عبد العزيز بدر وكان فى تصورى أنه سيقول له.. متشكر.. أو أية كلمة مجاملة من هذا القبيل..

ألم يكن هو السفير الذى إئتمنه الملك دون كل سفراء مصر فى الخارج ليدرب خطيبته على أن تصبح ملكة..

ولكن الملك فاجأه بقوله:

- النهار ده سواقين التاكسي عاملين إضراب فى الإسكندرية.. حتروح بيتك إزاى..

وسكت عبد العزيز بدر ولم يقل شيئا..

ولكن الملك بادره قائلا:

- إن شاء الله نأجر لك تاكسى (بعارضة)..

وارتبك السفير، ثم أخذ بتلعثم وهو يقول للملك:

- مولاى.. يعنى أيه تاكسى (بعارضه)..

وكاد الملك أن ينفجر من الضحك.. ثم ربت بكف يده على ظهر السفير وهو يقول لى:

- قوله يا سى مصطفى يعنى أيه تاكسى بعارضه.. أصله ابن ذوات..

وكان من السهل أن أدرك أن الملك يريد أن ينتقم من السفير لمشاحناته المتعددة مع ناريمان.. وفى تصورى.. أنه أنتظر حتى أتم السفير مهمته، ثم استدعاه ليعود مع ناريمان حتى يستقبله بهذه النكتة..

وابتسمت وأنا أقول للملك:

- تاكسى بعارضه.. يعنى.. عربية كارو.. !

نام وترك خطيبته فى السيارة:

وخرجنا من قصر رأس التين فى موكب من السيارات فى الطريق إلى القاهرة..

وكان الملك يقود سيارته بنفسه، وقد جلست إلى جواره ناريمان..

وفى المقعد الخلفى جلس بوللى..

ومن خلف سيارة الملك تحركت ١٥سيارة تحمل رجال الحاشية الملكية.. والوصيفات..

وركبت أنا واحدة من هذه السيارات..

وكان الملك يقود سيارته بسرعة رهيبة مما اضطر باقى السيارات أن تلحق بسيارته بنفس السرعة..

وفى الطريق الصحراوى وقبل أن يصل الموكب إلى استراحة منتصف الطريق، توقفت سيارة الملك..

وتوقفت وراء سيارته بقية السيارات..

وتسللت من السيارة، التى كنت أركبها، وتقدمت ناحية سيارة الملك.. ولمحت ناريمان.. كانت جالسة فى مكانها وهى تتلفت حولها لا تعرف كيف تتصرف؟ ..

أشرت إليها بيدي مستفسرا عما حدث..

قالت لى بنفس الإشارة:

- الملك نائم.. !

لقد أوقف سيارته ثم ألقى برأسه فوق عجلة القيادة..

وظل الملك نائما فى مكانه ساعة كاملة، وظلت بقية السيارات تنتظر حتى استيقظ من نومه..

أستيقظ الملك من نومه.. ثم أخذ يقود سيارته بنفس السرعة الرهيبة، من جديد ولم يقل لناريمان كلمة واحدة..

وتحركت وراء سيارته بقية السيارات إلى القاهرة. !

مشادة بين الملك وأصيلة:

وفى القاهرة أخذ الملك يتردد على بيت ناريمان بين الآونة والأخرى وكثرت زياراته حتى أنه لم يترك يوما واحد دون أن يمر عليها، أو أن يتصل بها فى التليفون..

وكان أن توقعنا أن يبادر الملك بإعلان خطبته رسميا، ولكن فجأة.. ولم يكن قد مر أكثر من ثلاثة أسابيع على عودة ناريمان من أوروبا، وقعت مشادة عنيفة بين الملك وأصيلة هانم والدة ناريمان..

وثار الملك فى وجه أصيلة هانم وهو يقول لها:

- طيب ياستى خلاص مفيش جواز..

ولم أكن موجودا فى بيت ناريمان عندما وقعت هذه المشادة..

ولكننى أذكر ما حدث بالضبط فى تلك الليلة فقد كانت الساعة قد جاوزت العاشرة والنصف مساء بقليل وكنت قد تأهبت لكى أخلع ملابسى بعد عودتى إلى بيتى قبل أن استلقى على فراش النوم.. وفجأة دق جرس التليفون بجوار سريرى، ورفعت سماعة التليفون لأسمع أصيلة هانم تقول لى، وهى تجهش بالبكاء:

- مصطفى.. مصيبة وقعت.. تعال بسرعة...

وحاولت أن استفسر منها عما حدث، ولكنها انفجرت باكية وهى تردد:

- بعدين لما تيجى تعرف.. !

كانت أصيلة هانم تتكلم بعصبية، وهى فى أشد حالات الإرتباك، وقد تركتني عندما أغلقت سماعة التليفون نهبا للأفكار السوداء من كل نوع..

إنها لم تقل لى شيئا أكثر من أن مصيبة قد وقعت..

وأخذت أحدث نفسى قائلا:

- يا ترى.. أيه اللى حصل؟ !

وتبادر إلى ذهنى خاطر جعلنى أقفز من مكانى وأسرع فى ارتداء ملابسى لأذهب إلى بيت ناريمان..

تذكرت أنى قد اتصلت بناريمان بعد الظهر فى التليفون. وعرفت منها أن الملك سيزورها بعد العشاء..

وتصورت المصيبة الوحيدة التى يمكن أن تقع عندما يذهب فاروق إلى بيت ناريمان وينفرد معها فى حجرة واحدة..

هذا ما تبادر إلى خاطرى فلم تكن هناك مصيبة أخرى محتمله..

وحاولت أن أطرد تلك الأفكار السوداء من مخيلتي..

قلت لنفسى: والله دى تبقى مصيبة صحيح.. ولكن إزاى حاقدر أواجه الموقف..

واندفعت كالمجنون إلى بيت ناريمان !

الحكاية انتهت خلاص:

اقتربت من البيت ليتطرق إلى سمعي صوت (نهنهة) حزينة وقد اختلطت بالصراخ والعويل.. واستقبلتني إحدى الخادمات وهو تولول فى وجهى قائلة:

- شبابك ياست ناريمان.. يا عين الست الكبيرة ياست ناريمان..

واندفعت الخادمة تبكى بحيث تبادر إلى ذهنى أن المصيبة من نوع آخر..

تصورت أن ناريمان قد ماتت، فقد كان كل ما فى البيت يوحى بوفاتها.. أو أن شيئا من هذا القبيل قد وقع لها !

واندفعت أجرى إلى داخل البيت وأنا أصرخ بطريقة لا شعورية..

- فين ناريمان جرى لها أيه؟

ولم أتوقف إلا عندما رأيتها جالسة على مقعد فى الصالون..

كانت حية ترزق، ولكنها كانت تبكى بطريقة هستيرية..

وكانت أصيلة هانم تجلس إلى جوارها أيضا وهى تبكى..

قلت لها: أيه الحكاية.. جرى أيه؟ !

قالت أصيلة: الحكاية انتهت.. وكل حاجة خلصت..

أمسكت بكتفها ثم أخذت أهزها بعنف وأن أقول لها:

- حكاية أيه.. فهميني.. أيه اللى حصل؟

قالت وهى تحاول أن تتمالك شعورها:

- فاروق كان عندنا، وقال إنه مش حيتجوز؟

كدت أن أقع (من طولى) كما يقول المثل العامى، فقد كان آخر ما يمكن أن أتصوره هو أن يتخذ الملك مثل هذا القرار..

وانهارت أحلامى، وأحلام ناريمان كلها مع هذه الكلمة التى خرجت من فم الملك..

وألقيت بنفسى على مقعد إلى جوار ناريمان..

وحتى تلك اللحظة لم أكن قد عرفت بالضبط حقيقة ما وقع بين أصيلة هانم والملك فقد كنا جميعا نتكلم بطريقة هستيرية..

وكانت كل تصرفاتنا أيضا هستيرية..

وقد ظلت الأفكار السوداء التى تبادرت إلى ذهنى قبل أن أصل إلى البيت تتراقص أمام مخيلتي وتتحكم فى تفكيري..

وبقيت فى مكانى صامتا حتى أخذنا فى تمالك شعورنا..

وعرفت ما حدث بالضبط..

كان الملك موجودا بالبيت عندما قرر أن يصطحب ناريمان معه فى نزهة بالسيارة..

وغضبت أصيلة هانم، وهى تقول له:

- إزاى تخرج معاها قبل ما تعلن الخطبة بصفة رسمية..

قال لها الملك:

- يعنى حيكون فيه إعلان أكثر من أن الدنيا كلها عرفت بأني بعتها فى رحلة طويلة إلى أوروبا، وأنى حضرت جنازة أبوها.

قالت له أصيلة وهى ما تزال عند رأيها:

- الإعلان الرسمى يختلف..

وثار الملك فى وجهها وهو يقول:

- يعنى أنت معندكيش ثقة فىّ. ده أى عريس هلفوت بيلبس خطيبته دبلة ذهب باثنين جنيه، يقدر يأخذها ويخرج يتفسح معاها..

وكما قالت لى أصيلة هانم: كانت رغبة الملك فى أن يأخذ ناريمان معه إلى خارج البيت مفاجأة لم تكن تتوقعها..

ولما فشل الملك فى إقناعها.. ثار فى وجهها وهو يقول لها:

- طيب ياستى.. أهى بنتك عندك.. أنا مش حاتجوز..

وعندما غادر فاروق البيت التفت ناحية أصيلة هانم، وهو يقول لها:

- اعتبري الموضوع أنتهي.. وأنا حابعت بوللى علشان ينهى الحكاية، ونقطع العلاقة بينى وبينكم.. !

* * *

أدركت سبب ثورة الملك، وسبب هذا القرار المفاجئ الذى اتخذه وهو يغادر البيت.. لقد شعر لأول مرة بأننا لا نثق فيه..

وقررت أن أقوم بمحاولة يائسة لإنقاذ الموقف..

وكان أن قلت لأصيلة: أنت طعنتيه فى كبريائه، لازم تعتذري له بسرعة قبل ما يكبرها رجال الحاشية فى رأسه..

قالت وقد أنفرجت أساريرها بعد أن وجدت بارقة أمل فى هذا الاقتراح:

- نعتذر له إزاى.. ده كان ثائر وهو سايب البيت وكان بيقول.. أنا مش عايز أشوف وشك تانى..

قلت لها: بسيطة ولكن المهم أن نعتذر للملك بسرعة، وأن نحاول تخفيف أثر الحكاية فى نفسه..

ولا أعرف ماذا حدث بالضبط فى تلك اللحظة فقد فوجئت بأصيلة هانم تثور فى وجهى، وهى تقول لى:

- تخفف حكاية إيه.. دى مصيبة.. ونزلت علينا..

ولم تهدأ أصيلة هانم إلا بعد أن تدخلت أبنتها ناريمان فى الحديث، وهى تقول لأمها:

- مامى.. وحياتى عندك.. أسمعى كلام (أونكل) مصطفى.. خليه يشوف لنا حل.. !

وأضطرت أصيلة هانم لأن تسكت.. ولأن تكف عن الصراخ فى وجهى!

اتفقنا على أن تقوم أصيلة هانم بالاتصال بأنطونى بوللى فى التليفون..

كان عليها أن تطلب إليه أن يبلغ اعتذارها للملك وأن تقول له أن ثقتها بالملك لم تكن فى أية لحظة موضع أى بحث أو مناقشة..

ورفعت أصيلة هانم سماعة التليفون. ثم أخذت تدير القرص لتطلب رقم تليفون بوللى..

ولكن ناريمان أسرعت إليها ثم أمسكت بيدها، وهى تقول لها:

- مامى.. نقرأ الفاتحة الأول.. علشان ربنا يساعدنا..

- وقرأنا الفاتحة، ثم عادت أصيلة هانم تطلب بوللى فى التليفون..

ومما عرفته أن الملك كان يتوقع أن تبادر أصيلة هانم بالاتصال ببولى فى التليفون لتعتذر إليه، فظل فى مكتبه بالقصر الملكى لا يغادره..

كما طلب إلى بوللى أن ينتظر هو أيضا فى مكتبه حتى تتصل به أصيلة..

وكان بين المكتبين اتصال تليفونى بحيث يستطيع الملك أن يسترق السمع إلى كل ما يدور من أحاديث فى تليفون بوللى..

الصلح بعد منتصف الليل:

أخذت أصيلة هانم تعتذر لبوللى..

وقال لها بوللى: الملك زعلان كثير، ودي حكاية مش تمام..

وحاولت أصيلة هانم أن تقنعه بأن الملك فهم موقفها خطأ، وهى تقول له:

- يا مسيو بوللى.. لازم تقدر موقفى.. ناريمان دى وحيدتي.. وأنا كأي أم كنت عاوزه أطمئن عليها..

وسمع الملك صوت أصيلة هانم وهى تعتذر لبوللى..

وكنت فى تلك الأثناء بالقرب منها أنا وناريمان نتابع الحديث..

وفجأة تدخل الملك فى المكالمة التليفونية وهو يقول لأصيلة هانم:

- مش عيب تعملي فىّ كده..

وعرفت أصيلة هانم صوت الملك، فارتبكت، ولم تعرف ماذا يمكنها أن تقول له.. فأخذت تتلعثم..

ولم ينتظر الملك، وبادرها بقوله:

- ياستى ما تزعليش.. أنا قررت ما فيش خروج ولا حاجة.. وأنا جاى عندكم دلوقتى..

وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل عندما تم الصلح فى التليفون..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أنسحب بسرعة من البيت قبل أن يصل الملك، فقد كان ضروريا أن أختفي تماما من الصورة حتى ندخل فى روع الملك أن أصيلة هانم قد اعتذرت له من تلقاء نفسها..

وما كان منى إلا أن غادرت بيت ناريمان فى سيارتي فى نفس اللحظة التى كان الملك يدفع فيها بسيارته ليدخل إلى البيت !

* * *

ومرت عدة أيام، وكانت الأزمة قد سويت تماما بين فاروق وأصيلة هانم..

وقرر الملك أن يعلن خطبته رسميا..

إن أحدا لم يقل لى أى شئ عن قرار الملك..

ولكننى أذكر أننى كنت أتناول طعام الغذاء فى بيت الأميرلاى أحمد حليم زوج ابنة أخى محمد، عندما فتحنا الراديو لكى نستمع إلى نشرة الأخبار..

وكانت المفاجأة عندما سمعنا المذيع وهو يعلن نبأ الخطبة الملكية..

واندفعت إلى التليفون لأهنئ ناريمان..

كانت كما يقول المثل (طايرة من الفرح..) وكانت تقهقه وتضحك من قلبها..

وسمعت صوت الملك إلى جوارها، وهو يقول لها:

- مين ده ياستى اللى بيتكلم.. !

قالت وهى تضحك:

- ده أونكل.. ده عمى مصطفى..

قال لها.. خليه ييجى بسرعة أنا عاوزه..

جدي بتاع دخان:

وأسرعت إلى بيت ناريمان..

كان كل واحد فيه يبدو سعيدا بإعلان الخطبة الملكية..

وكان البيت مملوءًا بالأقارب والأهل وقد جاءوا جميعا لتهنئة ناريمان..

وصافحني الملك وهو يقول لى:

- عرفت بقى ياسى مصطفى إننا مبنضحكش على حد.. وإننا لما نقول كلام مستحيل نرجع فيه..

وحاولت أن أقول أى شئ للملك، ولكنه استطرد قائلا:

- عاوز أقولك حاجة.. الناس بتقول أنا خطبت ناريمان فى خمس دقائق.. وده صحيح.. ولازم تعرف أننى ورثت عن جدودي حاجتين أفهم فيهم كويس خالص، الدخان، والستات..

وسكت الملك عدة ثوان، ثم استطرد يقول وهو يربت على كتفى:

- فى خمس دقائق أستطيع أشم باكو دخان وأحكم عليه أنه كويس.. أو على واحدة ست بأنها حلوة.. !

ثم قهقه الملك بضحكته المعهودة وهو يقول:

- أنت عارف محمد على كان إيه.. كان بتاع دخان.. وكل جدودي كانوا بتوع نسوان!

لم أعرف ماذا أقول للملك.. وأنقذتني ناريمان عندما اقتربت منه ثم تعلقت فى ذراعه بدلال.. فأخذ يداعبها.. ويربت على كتفها..

وتصورت أنه سيكف عن حديث الستات والدخان.

ولكنه استطرد يقول أمام ناريمان:

- بيقولوا على بتاع نسوان.. دى مش تهمة.. كمان هيه.. مش عيب.. ولكن الحمد لله ما قالوش شئ آخر عنى..

وأحمر وجه ناريمان، كما احمر وجه كل السيدات اللاتي كن فى البيت، .. قال الملك هذا الكلام.. ثم أخذ يقهقه كعادته، ثم مد يده إلى شعر ناريمان وأخذ يداعبه..

كان كلامه غريبا للغاية فى يوم إعلان الخطبة الرسمى.. ولا أعرف حتى هذه اللحظة ما الذى دفعه لكى يقول هذا الكلام.

ولكن فاروق حسب تجربتي معه كان رجلا شاذا، ولم يكن يجد أبدا أى حرج فى أن يقول أى كلام يحلو له، ولم يكن يهمه إذا ما كان هذا الكلام يمكن أن يحرج السيدات.. أو خطيبته.. !